الفصل الثاني:
مرحلة الاستقرار

لا ريب أن من يحاول تقصي الحقائق من تاريخ الماسونية في مصر يرى كما رأينا في مرحلة التأسيس كيف دخلت الماسونية مصر قبل عهد إسماعيل، وكيف حاولت المحافل الأجنبية - ذات الأغلبية الأوروبية - أن تشتغل بالسياسة والمكائد، وكيف انقسمت في أواخر عهد إسماعيل، بحيث كان قسم منها يؤيده أو يؤيد خلافة ابنه توفيق له، وقسم آخر يؤيد ولاية الأمير حليم... أما ما رواه المستشرق الإنجليزي ويلفرد بلنت في ١٩٠٣/٣/٢٠ [١] **أن الشيخ محمد عبد قال له:**

" حدثت محاولة لإدخال الماسونية مصر في أواخر أيام إسماعيل باشا، وكانت جميع المحافل مرتبطة بالمحافل الأوروبية، وقد انضم الشيخ جمال الدين إلى أحدها، ولكنه سرعان ما اكتشف عدم جدواها، فانسحب منها، وكان إسماعيل يشجعها حين بدأت متاعبه كي تخدم أهدافه، ولكن الماسونية آنذاك لم تك لها قوة في مصر على الإطلاق.. ".

فهذا أمر نسبي في حقيقة الأمر يمكن أن ينطبق على الأقلية المصرية في المحافل، ولكنه لا ينطبق على الأغلبية الأوروبية فيها. فقد كانت هذه الأغلبية تعمل - بطبيعة تركيبها وانتماءاتها - المصالح الأوروبية، وقناصل أوروبا، على الرغم من شعار عدم التدخل في الدين أو السياسة الذي تدعيه وتتظاهر به الماسونية دائمًا.

كما أنه لا ريب أن رالف بورج نائب القنصل الإنجليزي في مصر- كان من أخطر قناصل أوروبا في أواخر عهد إسماعيل، وأوائل عهد توفيق والاحتلال، لا في السياسة فحسب، وإنما في الماسونية وأنشطته فيها، وأهم مصادر معلوماته، وفي رأينا أن هذا هو أهم مظاهر القوة أو النفوذ الذي كان

(١) يراجع كتاب الماسونية في مصر، للدكتور/ على شلش.

للماسونية في مصر – على الأقل – خلال مرحلة تأسيسها، ثم يأتي بعد ذلك مظهر آخر يتمثل في حرص أصحابها على رعاية الحاكم لها والاحتماء بالشخصيات الكبيرة في البلد الذي توجد فيه. وإذا كانت الماسونية في بداية مرحلة التأسيس السابقة قد خاب حظها في الأمير حليم الذي طرده إسماعيل سنة ١٨٦٨م فلم يخب حظها مع إسماعيل نفسه، ولا مع ابنه توفيق من بعده، ولا مع السلطان أحمد فؤاد - الملك فيما بعد - ولا مع الكثيرين في مختلف المجالات غير هؤلاء من الشخصيات المرموقة.

وإذا كانت مرحلة التأسيس السابقة قد بدأت بغزو أجنبي (الحملة الفرنسية) فقد بدأت مرحلة الاستقرار بغزو أجنبي (الاحتلال البريطاني) أيضًا. ولا تعنينا هذه المصادفة، وإنما الذي يعنينا أنها - في الحالتين - تأكيد لطابع الظاهرة المستوردة الذي اتصفت به الماسونية في تاريخ مصر الحديث بوجه عام، وأثر في حركتها وتطورها عبر هذا التاريخ، ولكننا نلاحظ أن الاحتلال البريطاني كان من أهم عوامل استقرارها في البلاد، لا لأنها كما قدمنا من قبل - صناعة بريطانية وحسب، وإنما لأن كثيرين من قادة الاحتلال كانوا ماسونيين متحمسين على الطريقة الأسكتلندية، ومن هؤلاء الجنرال ونسلي، قائد جيش الاحتلال نفسه، فضلاً عن بعض جنرالاته المشهورين مثل سميث، وكتشز، ووينجت، وشجع هؤلاء وغيرهم الكثيرين من ضباط الجيش المصري على الانضمام إلى المحافل الإنجليزية.

ولقد شهدت مرحلة استقرار الماسونية هذه وبما توفر لها من دعم الحاكم والمحتل عددًا من التطورات الإيجابية لها، وأيضًا السلبية على حد سواء - **وأهم تطوراتها هي:**

أولاً: استقطاب الشخصيات الكبيرة والمرموقة.

ثانيًا: احتضان الجاليات الأجنبية والأقليات.

ثالثًا: التوسع الجغرافي.

رابعًا: ظهور الكتب والصحف الماسونية.

خامسًا: التطورات السلبية في مرحلة الاستقرار.

ونظرًا لأهميتها عند الحديث عن أثر تطور تاريخ الماسونية في مصر، فقد نرى أن نعرض لها بشيء من السرد التفصيلي واحدًا تلو الآخر.

أولاً: استقطاب الشخصيات الكبيرة والمرموقة:

نظرًا لتراجع قوة الماسونية في الفترة من ١٨٨١م - ١٨٨٨ أثناء تولي اليوناني ديوانس أكونورمبربولو منصب الأستاذ الأعظم للمحفل الأكبر الوطني المصري، لضعفه، ومحدودية كفاءته واقتداره، فقد عرض الماسون آنذاك المنصب على الخديوي توفيق، أي أنهم أرادوا التخلص من زميلهم مقابل الظهور بمظهر أكبر وأفخم، وقد تم ذلك عقب اجتماع انتخبوا فيه الخديوي أستاذًا أعظم، بعد أن كان في المرحلة السابقة عضوًا عاديًا. وفور انتخابه آنذاك ذهب وفد من المحفل يحمل إليه قرار الرئاسة، ورجاه الوفد قبول قرار انتخابه لأنه " إذا لم يشد أزرهم آل أمر الماسونية الوطنية للاضمحلال " على حد تعبير شاهين مكاريوس، **وألقى حفني باشا ناصف** في هذا الخصوص قصيدة طويلة بين يدي الخديوي، واستهلها بإشارات ترمز إلى شعارات الماسونية قائلاً:

الحر يدرك بالتوفيق ما طلبا ::: وبالمساواة كل يبلغ الأربا
وبالإخاء رخاء العيش مقترن ::: تربو رباه إذا عهد الإخاء ربا
وما المساواة إلا العدل وهو على ::: مصر بتوفيق مدت روحه طنبا

ووافق الخديوي توفيق على اختياره أستاذًا أعظم، ووعد بشد أزر الماسونيين، ولكنه اعتذر عن عدم حضور اجتماعاتهم، وأناب عنه وزير الحقانية (العدل) حسين فخري باشا في ذلك.

وفي ٢٣ يناير ١٨٩١م - أي قبل وفاة توفيق بعام - تخلى توفيق عن منصبه واكتفى بالرئاسة الشرفية، وحل محله مصري هذه المرة هو إدريس راغب (بك) الذي انتخب أستاذًا أعظم، ولعب دورًا كبيرًا وخطيرًا

في الحركة الماسونية بعد ذلك.

وكان إدريس راغب (من مواليد ١٨٦٢) قاضيًا بالمحاكم الأهلية وقتها، وهو نفسه ابن إسماعيل راغب باشا الوزير، ورئيس مجلس شورى النواب في عهد إسماعيل، ثم رئيس الوزراء في عهد توفيق وقت احتلال مصر.

وهو من أصل يوناني، جمع في حياته ثروة ضخمة تركها لابنه إدريس، الذي أنفقها بسخاء على الماسونية، منذ توليه منصب الأستاذ الأعظم، فقد قام بتسديد ديون المحفل الأكبر فور توليه، وأنشأ " محفلاً أكبر لدرجة الأساتذة المعلمين " - وعندما عين في سنة ١٨٩٥م مديرًا لمديرية القليوبية أنشأ في عاصمتها بنها محفلاً باسمها، وفي عهد أستاذيته ازداد عدد المحافل حتى بلغ ٥٤ محفلاً، منها اثنان باسمه (محفل إدريس رقم ٤٣، ومحفل راغب رقم ٥). كما أنشأ صحيفة تنطق باسم الماسونية، **بل أنشأ - خارج المجال الماسوني - حزبًا سياسيًا صغيرًا سماه " الحزب الدستوري "** كان يدعو إلى التمييز الطبقي، ولا يعتد بالحياة النيابية، مقابل الولاء الكامل للسلطة.

لم يك إدريس راغب - كما قدمنا - شخصية كبيرة ولا مرموقة، ومع ذلك ظل يشغل منصب الأستاذ الأعظم حتى سنة ١٩٢٢. ويبدو أن أمواله لعبت دورًا إيجابيًا في بقائه طوال ثلث قرن تقريبًا على رأس " السلطة " الماسونية كما كانت تسمى في ذلك الوقت. وقد حل محله في ذلك العام **الأمير محمد على توفيق ولي العهد** الذي خلف أباه في المنصب الشرفي السابق. **ولكن محمد على لم يستمر طويلاً، فقد استقال سنة ١٩٢٧** بدعوى رغبته في الإخلاد إلى الهدوء والراحة، واعتلال صحته، وعدم قدرته على الحضور في دار المحفل الأكبر ليلاً، **وكثرة أسفاره وخلفه في منصبه، رجل ثري آخر يدعى محمود فهمي قطري باشا، تولي منصب " الأستاذ الأعظم "** سنة ١٩٢٨م لمدة عامين تقريبًا. **ثم خلفه محمد رفاعة (بك) فأحمد ماهر** باشا، ولم يكن هؤلاء وغيرهم هم كل الشخصيات

الكبيرة والمرموقة التي استقطبتها الماسونية، فقد ظهرت أسماء أخرى ألمع وأقوى في صحف الماسونية وكتبها ونشراتها على مدى هذه المرحلة. ففي عشرينيات القرن العشرين نجد ولي الدين يكن، وإبراهيم اليازجي، وخليل مطران، وحفني ناصف، وإسماعيل صبري، وأحمد فتحي زغلول من الأدباء والشعراء والمثقفين. كما نجد سعد زغلول وعدلي يكن، وعبد الخالق ثروت من السياسيين. وفي عشرينيات القرن العشرين يستمر ظهور معظم هذه الأسماء، مضافًا إليها محمود رمزي نظيم، وأحمد زكي أبو شادي من الأدباء، وعمر سعيد حليم، وسعيد محمد على حليم، وسعيد داود من الأمراء والنبلاء، وعلى شعراوي، ومحمد حافظ رمضان، وفؤاد أباظة من السياسيين، والشيخ حسن مأمون من رجال الدين واللواءان على شوقي، ومحمد فهمي المتيني من ضباط الجيش، وفي الثلاثينات تستمر معظم هذه الأسماء، وتستجد عليها أسماء أخرى، مثل حسين شفيق المصري من الأدباء، ويوسف وهبي (بك) من الفنانين، وأحمد ماهر باشا من السياسيين، ومحمود رسمي، ومختار زاهر من ضباط الجيش، وفي الأربعينات تكاد الصحف والكتب والنشرات الماسونية تختفي، ولكن تستمر بعض الأسماء السابقة في الظهور، ويستجد عليها رجال مثل محمد رفعت من كبار موظفي الدولة، والشيخ محمد أبو زهرة من رجال الدين، وأحمد غلوش من الأطباء، وفؤاد سراج الدين من السياسيين.

وتظهر شخصية سعد زغلول كأهم الشخصيات التي اهتمت بها الماسونية حتى وفاته سنة ١٩٢٧م، ففي سنة ١٩٢١م وضعت " المجلة الماسونية " صورته على أولى صفحاتها بعنوان " مشاهير رجال الماسون " وكتبت تحتها " حضرة صاحب المعالي الأخ فائق الاحترام سعد زغلول باشا نائب أستاذ أعظم شرف بالمحفل الأكبر الوطني المصري ".

وعلى أي حال لم يك سعد زغلول عضوا عاملاً في الماسونية، وإنما

كان منصبه (نائب أستاذ أعظم) شرفيًا، يلي منصب الأمير محمد علي (الأستاذ الأعظم) الشرفي أيضًا حتى سنة ١٩٢٢م.

ومع ذلك حظى سعد زغلول بكل هذا التقدير في الوقت الذي لم يحظ فيه زميله عبد الخالق ثروت (باشا) بتقدير مماثل حتى عند وفاته في سبتمبر ١٩٢٨. فقد أعلن محمود فهمي قطري (باشا) رئيس المحفل الأكبر آنذاك أن الماسونية فجعت " بوفاة حضرة الأخ المغفور له صاحب الدولة عبد الخالق ثروت باشا " وأوقف أعمال الجلسة التالية للوفاة " عشر دقائق حدادًا ثم قرار إرسال برقة عزاء إلى أسرته الكريمة.

في حين لما مات سعد زغلول بعد عودته من المنفى طلب من المحافل الماسونية تعاطفًا وإرضاءً لمشاعر الشعب المصري أن تستعمل في نشراتها ومكاتباتها أوراقًا مجللة بالسواد، وأن يضع جميع موظفي المحافل ورودًا سوداء على أوشحتهم ومآزرهم مدة سبعة أسابيع، وأقيمت حفلة جناز لذكرى الزعيم المحبوب ".

هذا وقد يجدر الذكر هنا أيضًا أن ثروت باشا كان بدرجة " منبه أعظم شرف " أي أنه لم يك ماسونيًا عاملاً أيضًا.

وقد يتضح ويتبين تمامًا مما تقدم أن استقطاب الماسونية لمثل هذه الشخصيات الكبيرة والمرموقة قد ساعدها فعلاً وواقعًا على الاستقرار، والظهور والإعلام بمدى أهميتها وما تبديه في الظاهر من شعارات وإتاحة المجال أمامها للدعاية لها في الأوساط غير الماسونية، والتوسع الجغرافي داخل البلاد.

ثانيًا: احتضان الماسونية في مصر للجاليات الأجنبية والأقليات:

لقد رأينا فيما تقدم أن الماسونية في مصر كانت ظاهرة وافدة على أيدي الجاليات الأجنبية، فمن الطبيعي أن تحتضن أبناء هذه الجاليات بالإضافة إلى أبناء الأقليات المستوطنة، ولكن قد يلاحظ في مرحلة

الاستقرار هذه أن أبرز هذه الجاليات والأقليات التي وجدت الرعاية والتشجيع من الماسونية، هي الأقلية الشامية المسيحية المهاجرة، والأقلية اليهودية المستوطنة، وفي الوقت ذاته وجدت الماسونية في هذه وتلك كل عون وتشجيع، ولاسيما في مجال الإعلام.

أ- الأقلية الشامية المسيحية:

شهدت مصر في أعقاب استقرار الاحتلال الإنجليزي، موجة جديدة من المهاجرين المثقفين الشاميين وتصادف أن كان معظم هؤلاء من لبنان، ومن خريجي الكلية السورية الأمريكية.. كما تصادف أن " معظمهم كان من أعضاء جمعية شمس البر التي وصفها الأب لويس شيخو بأنها جمعية ماسونية ". وكان من أعضائها المؤسسين شاهين مكاريوس، ويعقوب صروف، ومن أعضائها الفخريين فارس نمر، وكان ثلاثتهم يصدرون في بيروت مجلة " المقتطف " منذ سنة ١٨٧٦م.

ولكن يبدو أن الماسونية كفكرة كانت تعاني في الشام من الشك في نواياها وعدم القبول بل والاضطهاد الشعبي لها إذا صح التعبير. فقد ذكر جرجي زيدان أول محفل ماسوني في بيروت تأسس سنة ١٨٦٢م ثم تلاه آخر سنة ١٨٦٩م، ولكن الكنيسة الجزويتية قاومت الفكرة الماسونية منذ البداية مقاومة عنيفة شارحة لخبث مآربها تحت شعارات مضللة زائفة. حتى أصبح اسم الماسون عند العامة مرادفًا لأدنى صفات الاحتقار، فكانوا إذا أرادوا المبالغة في وصف أحد الكفرة أو المنافقين لا يجدون أنسب من قولهم " فارماسون " للإفادة عما في ضميرهم، فهي عندهم مرادفة لقولنا كافر، أو منافق.. أو حقير.. وما شاكل ذلك، وذكر شاهين مكاريوس " أن سمعة الماسونية كانت سيئة إلى درجة تشاتم الأهالي باسمها فيقول الواحد للآخر يا ابن الفرمسوني ".

ولكن مصر لم تكن تعرف في ذلك الوقت أي عداء رسمي أو شعبي من هذا النوع، ولهذا قصدها هؤلاء وغيرهم.. في سنة ١٨٨٤م جاء

ثالوث صروف، ونمر ومكاريوس إلى القاهرة، وتابعوا إصدار " المقتطف " منها. وسرعان ما لحق بهم جرجي زيدان وعدد آخر من الكتاب والصحفيين من بين إبراهيم البازجي، وخليل مطران، وملحم شكور، ونعوم شقير، وجبر ضومط، وفينكس فارس على التوالي، ولم تمض سنوات قلائل حتى كان الثالوث السابق - بصفة خاصة - قد دعم صلته بسلطات الاحتلال. بل أن فارس نمر (١٨٥٧ - ١٩٥١م) تزوج ابنة القنصل الإنجليزي في مصر سابقًا، ثم زوج ابنته فيما بعد إلى السكرتير الشرقي للسفارة الإنجليزية، وعن طريق تعاونهم مع الإنجليز أصدر شاهين مكاريوس (١٨٥٣ - ١٩١٠م) مجلة الطائف سنة ١٨٨٦، التي استمرت في الصدور حتى وفاته.

وأصدر فارس نمر صحيفته " المقطم " سنة ١٨٨٨م التي استمرت في الصدور حتى أواخر ١٩٥٢، واستقل يعقوب صروف (١٨٥٨ - ١٩٢٧م) بمجلة المقتطف التي استمرت في الصدور إلى أواخر ١٩٥٢ أيضًا وكانت مطبعة " المقتطف " التي أدارها مكاريوس تطبع المجلتين والصحيفة في البداية، فضلاً عن المطبوعات الحكومية والإعلانات القضائية التي تتلقاها من السلطة، وتقارير اللورد كرومر (المعتمد البريطاني) السنوية لحكومته عن مصر.

وكانت مجلة " المقتطف " تترجم هذه التقارير إلى العربية والفرنسية وتوزعها على مشتركيها.

كما وكانت مطبعة المقتطف مصدرًا لطبع العديد من الكتب والنشرات الماسونية، **ومن أهم هذه الكتب نحو عشرة مؤلفات لشاهين مكاريوس وإدريس راغب، فضلاً عن مجلة اللطائف التي جعلها أيضًا مكاريوس منبرًا بارزًا للماسونية، بالإضافة إلى مجلة المقتطف التي كانت أول مجلة عربية فتحت صفحاتها تمامًا للماسونية تعريفًا وتبشيرًا وتحفيزًا ابتداء من سنة ١٨٨٤م، وجريدة " المقطم " التي أتاحت للماسونية نافذة جماهيرية يومية واسعة.**

وإذا كـان جرجـي زيـدان اكتفـى بكتابـه الوحيـد السـابق الإشـارة إليـه، وهو أول كتاب بالعربية عن الماسونية، فلم يكتف شاهين مكاريوس بكتبه السبعة عن الماسونية بل كان أنشط عناصر الدعاية لها، لا على مستوى الكتابـة والتـأليف فحسـب، وإنمـا علـى المسـتوى العملـي أيضًـا، أي علـى مستوى المحافل العديدة التي انضم إليها أو أسسها.

وإذا كانت " المقتطف " عالجت الماسونية بطريقة معتدلة إلى حد ما، فقد كانت مجلة " اللطائف " على النقيض من هذا تماما. **فهي " أول مجلـة جاهرت بالتعاليم الماسـونية السرـية في القطـر المصرـي " عـلى حـد تعبـير قسـطاكي الحلبـي**، أحد مؤرخي الصـحافة العربيـة، بـل إن صـاحبها أو محررها مكاريوس أنشأ محفلاً باسمها، وصفه بقوله أنه " جمعية أدبيـة لا تتعرض لدين ولا لسياسة، فهـي تضـم من المسلمين والمسيحيين واليهود الجم الغفير من أبناء المشرق " - ومع ذلك دخلت المجلة سنة ١٨٨٨م في معركـة حـادة وشرسـة مـع اليسـوعيين (الجيزويـت) الـذين تنبهـوا لخطـر الماسونية فـي مصـر ومـا لهـا مـن مـآرب خبيثـة إلا أن الماسـونية ومجلـة اللطـائف بمـا لهـا من نفـوذ وأنصـار ماسـون فـي نخـب المجتمـع المصـري آنذاك استطاعت تأليب الحكومة عليهم.

غير أنه فيما يبدو أن اللطائف مجلة ومحفلاً، لم تكن كافيـة لاستيعاب حماسـة مكـاريوس، فقـد ألـف سـبعة كتـب دعائيـة صـارخة آخرهـا كتـاب متـرجم قـام بطبعـه وتقديمـه بعنـوان " تـاريخ الماسـونية القديمـة وآثارهـا، وفيه أضاف فصلاً عن تاريخها في مصر لم يزد شيئًا عما ذكره زيدان من قبل، سوى تمجيد إدريس راغب والدعاية له.

وإذا كـان مكـاريوس علـى هـذا النحـو مـن الحمـاس والنشـاط، فقـد كـان فارس نمر وصروف أقل حماسًا، فقد اختير نمر رئيس شرف لمحفل الثبات - الذي كان مكاريوس من أعضائه - بالقاهرة. ولم يعرف عن صـروف أنـه انضم إلى محفل معين، وإن كان قد بذل نشاطًا في الكتابة عن الماسونية فـي

" المقتطف " ومع ذلك وقع مكاريوس وصروف عام ١٩٠٩م في معركة حادة وطويلة مع الأب لويس شيخو اليسوعي (١٨٥٩ - ١٩٢٧م) الذي دأب على مهاجمة " المقتطف " وأصحابها في مجلته البيروتية " المشرق " منذ صدورها سنة ١٨٩٨م حتى وفاته، فقد تناول شيخو الدعوة إلى الماسونية في مجموعها بالنقد اللاذع الحاد في سلسلة من المقالات بعنوان " السر المصون في شيعة الفرمسون ". وفي هذه السلسلة الفريدة أخذ الرجل ينقب في مؤلفات الماسون الفرنسية، والعربية ليدلل على عدائها للمسيحية، ولم يدع أصحاب المقتطف واللطائف والمقطم والهلال وغيرهم من الماسونيين الشوام المهاجرين دون التدليل على ضعف حججهم وخبث مآربهم، ومعارضة الماسونية للدين سواء كان مسيحيًا أو إسلاميًا ومناهضتها السلطة الشرعية، ويمكن أن نعد هذه السلسلة أول هجوم منظم بالعربية على الماسونية، بالرغم من سياسة الصمت التي اتخذها إزاءها مكاريوس، وصروف، ونمر، وزيدان.

ورغم أن الحماس الشديد الذي أبداه المهاجرون الشوام المسيحيون نحو الماسونية قد فتر بعد وفاة مكاريوس سنة ١٩١٠م وازداد الحماس فتورًا بعد وفاة صروف سنة ١٩٢٧م، إلا أن الماسونية ذاتها كانت قد استقرت ولم تعد بحاجة كبيرة إلى الدعاية بعد العقود الثلاثة الأولى من مرحلة الاستقرار هذه أي منذ ١٨٨٢ وحتى ١٩١٢م، وأنه إذا عدنا إلى قائمة الصحف المدرجة في البيلوجرافيا فسوف نجد أن عدد الصحف التي اهتمت بالماسونية اهتمامًا كبيرًا يبلغ عشر صحف، منها خمس كان يملكها ويحررها شاميون مسيحيون، وثلاث صحف لأبناء الأقلية اليهودية.

الأقلية اليهودية:

لقد ذكرنا من قبل أن مرحلة استقرار الماسونية في مصر كانت الفترة من ١٨٨٢ وحتى ١٩٤٨م، وقد نستطيع أن نؤكد في ذات الوقت أن تلك الفترة كانت تمثل في ذات الوقت العصر الذهبي لليهود في تاريخ مصر الحديث.

إذ أتـاح لهـم الاحـتلال البريطـاني كمـا أتـاح للماسـونية - الكثيـر مـن فرص النمو والازدهار، وكـان أظهر وأوضـح رد فعل لـذلك هو التزايد المستمر، والمضطرد في هجرتهم إلى مصر.

ومـن المعـروف أن اليهـود كـانوا أقليـة مسـتوطنة فـي مصـر طـوال التاريخ القديم والحديث، ولكن عددهم بدأ في الزيادة المستمرة في أعقاب الاحتلال البريطاني، فقد بلغ عددهم في ١٨٨٢ نحو عشرين ألفًا، ثم بدأ هذا العدد في الارتفاع - بـالهجرة لا بالتكـاثر وحده - وصـل إلـى ٣٨٦٣٥ سـنة ١٩٠٧م، وإلـى عـدد ٥٩١٤٨ سـنة ١٩١٧، وإلـى ٦٣٥٥٠ سـنة ١٩٢٧، حتى وصل إلى ٦٤٤٨٤ سنة ١٩٤٧م.

ومن الواضح في هذه الأرقام أن عدد اليهود لم يتوقف عن الزيـادة غيـر الطبيعيـة، وإن كانـت الزيـادة الأخيـرة محـدودة، وسـبب ذلـك هجـرة كثيـرين مـنهم إلـى فلسـطين وغيرهـا حتـى قبـل ١٩٤٧م، وقـد رافـق هـذه الزيادة المستمرة ازدياد واضح في حجم الأسر الكبيرة وأموالها ونفوذها من جهة، وازدياد في حجم الوضع اليهودي في الماسونية - بطبيعة الحـال - من جهة أخرى.

ومـن البـديهي أن يجـد اليهـود أكثـر مـن غيـرهم بكثيـر فـي الماسـونية مظلة للحمايـة والاهتمـام والرعايـة - فـاليهود فـي الأصـل هـم مؤسسـوها - واكتسـاب عطـف الأغلبيـة واحترامهـا فضـلاً عـن كونهـا مجـالاً خصـبًا للعلاقات العامـة التـي لا تتيسـر المصـالح بـدونها. **بـل أنهـم بشـكل سـافر وظفوا الماسونية في مصر- لخدمـة الصـهيونية، وأحـلام الـوطن القـومي في فلسطين – ولو أن هذا ليس بمستغرب لدينا حيث أن الماسونية والصهيونية كما قدمنا من قبل هما وجهان لعملة واحدة -.**

وإذا كانت الأقلية الشامية المسيحية برزت في مجال الدعاية والإعلام للماسونية، فقد كانـت الأقليـة اليهوديـة فـي هذا المجـال أكثـر نشـاطًا وأكثـر تركيزًا وتفوقًا في مجال المحافل أي المجال العملي للماسونية. **فقد أصدر**

اليهود ثلاث صحف متخصصة في الماسونية وهي: " المجلة الماسونية " التي أصدرها في الإسكندرية يوسف لفلوفة سنة ١٩٠١م، مجلة " الإخاء " التي أصدرها في القاهرة، رحمين فرجون سنة ١٩٠٦، مجلة " الأخبار الماسونية " التي أصدرها في القاهرة أيضًا موسى جرونشتين (مع إسكندر فرج وألبير بزيات) سنة ١٩٢١. ومع ذلك كانت هذه الصحف الثلاث قصيرة العمر بوجه عام كما يتضح ذلك عند الحديث عن الكتب والصحف الماسونية.

وكان نشاط اليهود في المحافل الماسونية في ازدياد مضطرد مستمر، فقد ترددت أسماؤهم كثيرًا في أخبار المحافل وأنشطتها في الصحف والنشرات الماسونية، ومن هذه الأسماء تاثان سوسان، سكرتير محفل " الإيما نسيباسيون " بالإسكندرية سنة ١٩٠٣م، وموسى جرونشتين مؤسس ورئيس محفل إسكندر الأكبر في القاهرة، حتى وفاته في مارس ١٩٢١م، وموسى مصلياح رئيس محفل فؤاد رقم ٢٢٠ بالقاهرة سنة ١٩٢١م، وإيلي عقرب مساعد خزان أعظم وشاؤول عقيرب مساعد حامل علم أعزم بالمحفل الأكبر بالقاهرة سنة ١٩٢١م، وسلمون جولاشتين أمين خزينة أعظم، وألبرت بزيات مرشد أول أعظم بالمحفل الأكبر بالقاهرة سنة ١٩٢٢م وعزرا نحماد، وإيلي ليفي، وأدموند ميل، وصول دا فاس، وعزرا شاوول، ولينا دواوس، وس. فروجيه موظفون وضباط عظام بالمحفل الأكبر سنة ١٩٢٣.

وتكشف قائمة المحافل وأساتذتها لسنة ١٩٢٨م عن وجود ٥٢ محفلاً تحت لواء المحفل الأكبر الوطني المصري في تلك السنة، منها محفل " أحيقام " الذي جعل العبرية لغته، فضلاً عن ٨ محافل تشغل الأسماء اليهودية مناصب الأساتذة العظام فيها (فيكتور موديانوووليون، ستارا سلسكي، ويوسف شحاته هراري، ولوين محرز في القاهرة، إيلى حتويل، وهوجز موسو، وسابينو كاليا في الإسكندرية، ومايز دنكور في السويس) في حين شغل المسيحيون الأقباط ٣ مناصب مقابل لا شيء للمسيحيين

الشوام، ١٧ لليونـانيين وغيرهم من الأوروبيين، أي أن الوجود اليهودي في الإعلام والمحافل لم يكن عابرًا أو محدودًا في تلك الفترة.

ثالثًا التوسع الجغرافي:

كان من المنطقي أنه من نتائج استقرار الماسونية في تلك المرحلة النمو والتوسع داخل مصر وخارجها، وإذا كان التوسع الداخلي طبيعيًا لازدياد الإقبال على المحافل، فقد كان التوسع الخارجي تطورًا غير مسبوق.

أ- في الداخل:

إذا ما تابعنا الصحف والنشرات الماسونية في تلك المرحلة يتبين لنا الازدياد الملحوظ في عدد المحافل طوال الثلث الأول من هذا القرن. ففي سنة ١٩٠٣م بلغ عدد المحافل ٤١ محفلاً، ولم تقتصر هذه المحافل على المدن المصرية الكبرى مثل القاهرة والإسكندرية وبورسعيد وطنطا، وإنما تعدتها إلى المدن **الصغرى مثل السنبلاوين، وبنها، والإبراهيمية**. وفي ١٩٠٧م بلغ عدد المحافل ٤٢ محفلاً وكان أكثرها في القاهرة والإسكندرية، ولكنها دخلت **مدنًا أخرى لم تعرفها من قبل مثل، ميت غمر، وكان تقسيمها الجغرافي كالآتي:**

٣٢ في القاهرة، ٥ الإسكندرية، ٢ في طنطا، محفل واحد في كل المنصورة والزقازيق وميت غمر، وفي سنة ١٩٢١ بلغ عدد المحافل التابعة للمحفل الأكبر الوطني المصري وحده ٢٩ محفلاً، وبلغت إيرادات هذا المحفل في الفترة من يناير إلى يونيو ١٩٢١ نحو ٣٨٧٢,٩٤٦ جنيهًا، وبلغ رصيده ٣٠١١,٤١٨ جنيهًا، وفي سنة ١٩٢٤م بلغ عدد المحافل المصرية العاملة التابعة لسلطات (ماسونية) معروفة لدى المحفل الأكبر في القاهرة والإسكندرية وطنطا، والخرطوم، وعطبرة، والسويس والمنصورة، نحو ٢٥ محفلاً. وفي سنة ١٩٢٧م بلغ عدد المحافل التابعة للمحفل الأكبر ٥٩ محفلاً، وبلغ عدد أعضائها ٦٥٠٠ عضو. وفي سنة ١٩٢٩م بلغ عدد المحافل التابعة للمحفل الأكبر ٥٢ محفلاً، وكان

توزيعها كالآتي: ٢٦ في القاهرة، ١٣ في الإسكندرية، و٢ في كل من بورسعيد والسويس والإسماعيلية والمنصورة وكفر الزيات، ومحفل واحد فقط في كل من بنها وطنطا ودمنهور.

وقد نلاحظ في هذه الأرقام أنها تميل رغم ارتفاعها المستمر تقريبًا إلى عدم الاستقرار وأن بيان المدن التي عرفت هذه المحافل يدل على أن حركة المحافل - بالنقص أو الزيادة - كانت تتبع حركة استقرار الأقليات والجاليات الأجنبية في هذه المدن، ولكن يبدو من الرقم العددي للأعضاء سنة ١٩٢٧ أن هذه المحافل لم تك مزدحمة، وأن الانضمام لها كان أشبه بالانضمام إلى الأندية الاجتماعية المحدودة بالعدد، **ولكن المسألة - كما هو معروف دائمًا في الماسونية - ليست مسألة كم، فالأعضاء يختارون بعناية فائقة، والمصالح التي تربطهم لابد أن تكون قوية ليتسنى توظيفها لخدمة الأهداف الاستراتيجية للماسونية العالمية.**

ب- في الخارج:

لم يذكر أو يعرف عن الماسونية المصرية أنها تخطت حدود البلاد قبل سنة ١٨٩١م، بحيث يصبح لها رعايا من المحافل خارج مصر... فقد حدث أن حصل شاهين مكاريوس على رخصة من المحفل الأكبر الوطني المصري لتأسيس محفل تابع له في بيروت في ذلك العام ١٨٩١م، تحت اسم " محفل فينيقية "، وإن كان الوالي العثماني أغلقه بعد قليل بأمر من السلطان عبد الحميد، وبعدها تأسست بعض المحافل في أنحاء متفرقة من الشام (سوريا ولبنان وفلسطين) وازداد عدد هذه المحافل مع الزمن، حتى أن المحفل الأكبر في مصر قرر في جلسة ٤ أبريل ١٩٢٨ تسمية المحفل الأكبر لسوريا وفلسطين باسم " المحفل الأكبر الإقليمي لسوريا وفلسطين " باسم المحفل الأكبر الإقليمي لسوريا ولبنان "، وفي ذلك العام بلغت المحافل التابعة للمحفل الأكبر المصري ١٧ محفلاً خارج مصر، منها ١٠ محافل في فلسطين، ٥ في لبنان، محفل

واحد في كل من دمشق والبصرة، وكانت سبعة محافل من العشرة التي في فلسطين تحت رئاسة اليهود. وفي الثلاثينات ظل عدد المحافل كما هو، **ولكن اليهود كانوا يشكلون ٨٥٪ من عضوية ١٢ محفلاً منها.**

ويبدو أن دخول المحفل الأكبر المصري في عملية التوسع الجغرافي الخارجي هذه كان سببًا - للأسف - في استقرار أحوال الماسونية وتحسن سمعتها - بعد أن كانت وصلت للحضيض كما تقدم ذكره على نحو ما أشار زيدان ومكاريوس، كما كان سببًا في انتشار نفوذ المحفل خارج مصر.

رابعـاً: ظهور الكتب والصحف والماسونية:

لقد ذكرنا فيما تقدم أن أول كتاب بالعربية عن الماسونية كان لمؤلفه جرجي زيدان سنة ١٨٨٩م، والذي بذل في حقيقة الأمر جهدًا كبيرًا في جمع مادته التاريخية، ثم تلاه في ذلك شاهين مكاريوس الذي بلغت كتبه عشرة، أحدها مترجم طبعه بمطبعة المقتطف، وعقب عليه بفصل تاريخي عن الماسونية في مصر، وتعد كتب مكاريوس العشرة رقمًا قياسيًا في تلك المرحلة لم يتخطه أحد بعد، حيث بلغت حصيلة المرحلة كلها من الكتب ٣٥ كتابًا بعضها (فني) يعنى بشعائر الماسونية، ولاسيما الكتب الخمسة التي وضع إدريس راغب اسمه عليها، وتم طبعها أيضًا بمطبعة " المقتطف " التي كان يديرها مكاريوس.

وقد يلاحظ في تلك المرحلة (مرحلة الاستقرار) أن العصر الذهبي في التأليف فيها يقع في الفترة من ١٨٨٩ - ١٩١٠م التي انتهت بوفاة مكاريوس إذ ظهر ٢٤ كتاب من مجموع الكتب السبعة والثلاثين - كما يلاحظ أيضًا أنه خلال المرحلة كلها لم يظهر في مصر أي كتاب معاد للماسونية، يكشف عن نواياها أو يفضح مآربها وأهدافها الإستراتيجية الخبيثة مثلما حدث في لبنان.

هذا ولقد غلب على التأليف الماسوني في تلك المرحلة طابع الترجمة والتلخيص من الكتب الأوروبية، وهذا أمر طبيعي ولاسيما في الكتابة عن

الجوانب التاريخية العامة، والشعائرية الخاصة للماسونية، كما غلب أيضًا طابع الدعاية، وهذا أمر طبيعي أيضًا في ظل حماسة أنصار الماسونية الأوائل التي قادتهم إلى التعميمات والمبالغات إما مشدوهين بالشعارات المضللة (حرية وإخاء ومساواة) أو لعمالة مستترة يخفونها بهذا الحماس.

ولكن على أي حال فإنه مما يسترعى النظر في كتب مكاريوس، وإدريس راغب ذات الطابع الفني أو الشعائري، أنها تكشف عن صلات واضحة بين اليهودية والماسونية، ففي كتابه " الأسرار الخفية في الجمعية الماسونية " يقول مكاريوس أن " الأستاذ الأعظم الأول هو سليمان بن داود النبي الملك "، وفي الفصل الخاص بتأسيس المحافل يقول أن من شروط التأسيس أن يقوم تسعة أساتذة إلى المحفل الأكبر باسم الأستاذ الأعظم، فإذا وافق الأخير يحضر بنفسه لتكريس المحفل رسميًا، ويتلو دعاء لمهندس الكون الأعظم، ثم يقرأ على الحاضرين المزمور المئة والثالث والثلاثين من مزامير داود، الذي جاء فيه ذكر " نذى حرفون النازل على جبل صهيون لأنه هناك أمر الرب بالبركة حياة إلى الأبد "، **ثم ينادي الخطيب الحاضرين بقوله:**

" اشكروا يا إخواني بصوت عال يهوه الذي شيدت له القبة والهيكل (هيكل سليمان) لعبادته وذكر اسمه الأعلى ".

وبعدها يتلو دعاء التخصيص، ثم يقف الإخوان، فيتلو الرئيس دعاءً ثالثًا يستهله بقوله:

" نسألك يا إلهنا، وإله بني إسرائيل، يامن لا إله غيرك، ويروي فيه حكاية بناء سليمان بيت لاسم الرب، وبيتا لملكه "، وليست الصلة بين هذه الشعائر وبين التراث اليهودي في التوراة وغيره خافية.

ولا اعتراض على أن تستعين هذه بتلك، ولكن الإلحاح على الشعائر والرموز اليهودية لا يمكن أن يأتي عفوًا هنا.. ولاسيما إذا علمنا أن الماسونية تدعي في ظاهرها احترام الأديان دون الالتزام بدين معين..،

والمعنى الواضح هنا هو أنها تخلط الشعائر والرموز اليهودية بشعائرها، وأن هذا الخلط ليس من السهل أن يأتي عن طريق منظري المسيحية، ولا عن طريق المسلمين من أنصارها، وطالما جاء فإنه لابد أن يكون لليهود اليد الطولى فيه وفي اقتراحه.

وقد تتأكد هذه الصلة الواضحة بين الشعائر والرموز اليهودية والماسونية في الكتب التي وضعها إدريس راغب، ويظهر هذا جليًا في كتابه " الدرجة الأولى ".. فإننا نجد في هذا الكتاب شرحًا لبعض رموز هذه الدرجة (درجة التلميذ أو المبتدئ) عن طريق السؤال والجواب، ومن هذه الأسئلة سؤال عن اتجاه الريح في الماسونية، وجوابه: " من الشرق إلى الغرب " بهدف " ترويح نفس الرجال وقت الشغل ". ولكن له معنى آخر هو أنه " رمز للريح ذي المعجزة الذي كان ضروريًا لخلاص بني إسرائيل من أسر المصريين "، ومن الواضح أن هذا المعنى مقحم على السياق إقحامًا، لأنه لا توجد علاقة بين الريح وخروج بني إسرائيل من مصر إلا على سبيل التذكير بما حدث لهم من أسر وتحرير، وهذا ما تمضي في توضيحه الأجوبة بعد ذلك، فتقص قصة إرادة مهندس الكون الأعظم في تخليص " شعبه المختار " (الإسرائيليين) من أسر المصريين " وما حدث لهم في البحر، حتى وصلوا سالمين إلى بر الأمان. " وقد أحيا ذكر هذا الخلاص بنو إسرائيل فساروا أيامًا في الصحراء ينشدون ويشكرون الله القادر الذي نجاهم، ومن هذا التاريخ اعتبر أن الريح الشرقي موافق للماسونية ".

وهذه الإشارات المذكور وغيرها لم يظهر لها مقابل من الإشارات المسيحية أو الإسلامية، مما يؤكد ما ذكرناه من قبل من وضع اليهود - في مرحلة مبكرة - شعائر الماسونية ورموزها، وليس بالطبع بغريب أو مستبعد أن يكونوا أسسوا وساهموا في تنشيط وتفعيل الماسونية الرمزية في القرن الثامن عشر في الوقت الذي كانوا فيه مضطهدين في كثير من أرجاء أوروبا.

وقد يكون من المجدي أيضًا هنا في مجال التأليف هذا أن ننوه إلى نشاط آخر اتصل بالتأليف عن الماسونية تمثل في شكلين محددين من أشكال الكتابة وهما المقال والقصيدة.

أما المقال فكان لخطورة جدواه وتأثيره هو وسيلة الإعلام الإنسانية عند الماسون حتى في مرحلة التأسيس السابقة - وقد تجلى هذا التأثير بالطبع في صحف تلاميذ الأفغاني لما كان للأفغاني من أثر بالغ على تلاميذه ومريديه، وتسنى لقيادات الماسونية توظيف ذلك توظيفًا كاملاً لخدمة مآربهم، خاصة بعد نجاحهم في استقطاب الأفغاني نفسه، وإدخاله الماسونية.

وظلت للمقال هذه المكانة في مرحلة الاستقرار، وربما كانت مقالات مجلة " المقتطف " أكثر اعتدالاً وتحفظًا في لهجتها الدعائية للماسونية في مقالات الصحف الأخرى.

ومن الملاحظ أن انتصار " حركة تركيا الفتاة " وتقويضها لحكم السلطان عبد الحميد كان لهما أثر إيجابي في الحركة الماسونية في مصر خلال تلك الفترة، وقد استغل دعاتها وجود عدد غير قليل من الماسونيين في الانقلاب ضد الحكم العثماني والسطان عبد الحميد، فاجتهدوا كثيرًا للاستفادة من ذلك في دعايتهم للماسونية - كما فعل محررو المقتطف - ولا سيما بين المثقفين في مصر الذين كان كثير منهم يكره نظام السلطان عبد الحميد.

وأما القصيدة فقد لعبت كشكل أدبي دورًا هامًا في الدعاية للماسونية خلال تلك المرحلة - والتساؤل الذي يثور هنا هو: لماذا اهتم الشعراء بالماسونية؟

وقد ينطبق الجواب هنا أيضًا على الكتاب والصحفيين الذين ناصروها في كتاباتهم، أي بعد أن تمسونوا إذا صح التعبير. وهكذا المجال مع الشعراء الذين ارتبطوا منذ القدم بالتقليد المفسد للشاعرية المعروف باسم " شعر المناسبات " ويبدو أن سبب تمسون الكثيرين من هؤلاء وأولئك يرجع إلى الشعارات الماسونية البراقة في الحرية والإخاء والمساواة، وهي شعارات براقة جذابة، وإن كانت تخفي وراء الأكمة ما

تخفيه من مآرب خبيثة - كانت تحلق فوق أرض تموج حينها بالاستبداد والنزاعات والصراعات الطائفية في الشام بصفة خاصة، مما أدى إلى حماس كثيرين - ومنهم الشعراء - للماسونية وشعاراتها الظاهر - المضللة - وتبعهم كثير من الغاوين.

ومن الشعراء الذين تمسونوا في مصر، **ولي الدين يكن التركي المهاجر، وإبراهيم اليازجي، وخليل مطران، ونعوم شقير المهاجرون من الشام، فضلاً عن إسماعيل صبري، وحفني ناصف، ومحمود رمزي نظيم، وحسين شفيق المصري، وأحمد زكي أبو شادي، وقد ظهرت أسماء هؤلاء في قوائم أعضاء المحافل عبر مرحلة استقرار الماسونية.**

وبالرغم من الكثير من التصنع الواضح في بعض القصائد الشعرية - ومنها على سبيل المثال الأبيات الشعرية الثلاثة لحفني ناصف التي قدمناها من قبل في مدح الخديوي توفيق والماسونية، إلا أن هناك شعراء موهوبين كتبوا عن الماسونية بعد أن انخرطوا فيها، وتأثروا بتعاليمها - وكان أبرز هؤلاء شعراء المهجر الأمريكي الشمالي: **جبران، وأمين الريحاني، وميخائيل نعيمة، وإيليا أبو ماضي -.**

ويبدو - في رأينا - أنهم تمسونوا بعد هجرتهم بغية الاحتماء من الغربة، والحماية لأنفسهم كأقلية بالاقتراب من المجتمع الجديد.

وفي أشعار تلك المزحلة على سبيل المثال أبيات استخدم فيها ولي الدين يكن مفردات ورموزها ماسونية كالتالي:

هذا الإخاء بناشدت أواصره ::: تقسمته قلوب فهو أشطار
يسير من مهج إلى مهج ::: فينا فتمضي الليالي وهو سيار

وألقى نعوم شقير - قصيدة محييًا نيازي بك أحد أقطاب الانقلاب العثماني فقال:

فتى الأحرار لا تخشى الصعابا ::: ولا تحسب لنائبه حسابا

كما نشر - على سبيل المثال - أيضًا محمود رمزي نظيم، عددًا كبيرًا من قصائده في صحف العشرينات الماسونية. ومنها أبيات ارتجلها في تهنئة الشيخ أحمد مخلوف الذي انتخب سنة ١٩٢١ رئيسًا لمحفل المروءة رقم ٢٠٣ وفيها يقول:

يا معشر الماسون أنتم عصبة ::: الله تمم نورها وسناءها
تتعاونون لنشر كل فضيلة ::: أخفى الزمان عن العيون رواءها
إن المروءة لا تزال مصونة ::: بين الورى مادمتموا نصراءها

وكان نظيم قد انضم إلى هذا المحفل في ٣ سبتمبر من ذلك العام، أما أبو شادي فقد تحمس للماسونية خلال العشرينات، ربما لعلاقته الوثيقة بالشاعر خليل مطران، وانضم إلى محفل في بورسعيد في الفترة ذاتها، وكتب قصيدة بعنوان " الماسونية " ألقاها أمام وفد من المحفل الأكبر كان قد جاء إلى بورسعيد لتثبيت محفلها، ويستهل القصيدة بقوله:

باسم الإخاء أحيي كل مأثرة ::: فيكم وانصاف مغبون ومظلوم

ويقول عن الماسونية بعد استخدام كثير من مفرداتها الشائعة:

لها المساواة نبراس كان بها ::: سرًا من الشمس في وحي وتعميم

غير أن هذا الشعر الماسوني لم يستمر طويلاً بعد العشرينات إذ بدأت فورته تهبط بازدياد النقد للماسونية وأعضائها، ومؤيديها بعد ازدياد هجرة اليهود إلى فلسطين وانكشاف دورها الخبيث في هذا الخصوص...

خامسًا: التطورات السلبية في مرحلة الاستقرار:

قد يمكن أن نعد ما تقدم تطورات إيجابية بالنسبة للماسونية خدمتها ودعمت استقرارها في تلك المرحلة، إلا أن الماسونية شهدت في تلك المرحلة بعض التطورات السلبية التي أثرت في مكانتها وأدت إلى ضعفها ولاسيما خلال المرحلة التالية، **ونستطيع أن نجمل هذه التطورات في ثلاثة هي:**

أ- الهجوم المضاد. **ب- التورط السياسي.**

ج- الانقسام.

أ- الهجوم المضاد:

لم تجد الماسونية أرضًا مفروشة بالورود على الدوام في مصر منذ دخولها، فقد كانت الأشواك تهدد مسيرها في كثير من الأحيان، ولاسيما في مرحلة الاستقرار هذه وما تلاها. وتمثلت هذه الأشواك في الهجوم المضاد الذي واجهته بين حين وآخر.

وبالرغم من أن هذا الهجوم كان محدود الانتشار، لا يلقي أي عناية من الصحف التي يصدرها الشاميون المسيحيون، بما فيها " الأهرام "، فقد ظل قائمًا يجد متنفسًا له في الصحف ذات الاتجاه الإسلامي، مثل مجلة " المنار " والصحف ذات الاتجاه الليبرالي مثل جريدة " السياسة الأسبوعية " وكثيرًا ما كان هذا الهجوم يبدأ من نقطة التغلغل اليهودي في الماسونية.

ومن أمثلة ما كتب في هذا المجال مقال بعنوان " الخطر اليهودي " للكاتب/ محمد عبد الله عنان، نشرته " السياسة الأسبوعية " في يوليو ١٩٢٨. وفيه تحدث الكاتب عن خطر اليهود وما يسميه هؤلاء " خصومة السامية " أي العداء للجنس السامي. وأشار إلى ما تعرض له حين أصدر كتابه " تاريخ الجمعيات السرية " من الحملات العديدة في الدوائر والصحف اليهودية في مصر وغيرها. وكان عنان قد تناول في هذا الكتاب تاريخ الجمعيات الماسونية، وتغلغل اليهود فيها، وأشار إلى أعراض هذا الخطر وكيف أنها تتمثل في المحاولة الخفية المنظمة لاستعباد العالم بالهيمنة عليه ومحو كل دين عدا اليهودية.

ومن الجدير بالملاحظة قوله في يوليو ١٩٢٨م - وقبل قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨م - في ذات المقال:

" إن فكرة فوز إسرائيل على أمم الأرض جميعًا ما زالت تتقد في صدور بني إسرائيل، وتتخذ في عصرنا نوعًا من العقيدة المقدسة، حتى في أذهان المتنورين والأحرار من مفكريهم ".

وفي الأسبوع التالي لنشر المقال سالف الذكر نشرت " السياسة الأسبوعية " أيضًا تعليقًا على هذا المقال لمحمد كامل حسن من مدينة الزقازيق بعنوان: " الخطر اليهودي أيضًا: البناية الحرة في مصر "، وفيه أيد الكاتب ما جاء في المقال السابق عن " وجوه الخطر الماحق الذي سوف يداهم العالم يومًا ما، والعالم يسبح في جو الخيال تاركًا قادة اليهود يعملون في الخفاء دون أن يثيروا الريب والشكوك بعملهم هذا تحت ستار جمعيات الإخاء التي يسمونها البناية الحرة " -.

ثم أضاف المعلق أنه بدأ حياته الماسونية منذ خمسة أعوام تقريبًا، فقد دخلها بإغراء الدعاية لها في التضحية وخدمة الإنسانية - كما يقول - ولكنه لم يعثر إلا على نقيض تلك " المبادئ الغرارة الفاتنة ". بل وجد أن " أغلبية تلك الفئة (الماسونية) هم اليهود وهم الذين يقودون العشيرة تحت هذا الستار الخلاب "، وأن الماسون هم أظهر القرائن وأقواها على وجود الخطر اليهودي. واختتم تعليقه بأن " هناك من الأسرار الخفية ما لو أذيع لروع العالم وأخطأ التقدير في حكمه. وأمسى يرى تلك الفئة بالعين المجردة إنما تعمل لهدم بقية الأديان دون دينهم "، ووعد بالتكاتف لفضح الماسون واليهود.

ب- التورط السياسي:

لقد لاحظنا محاولة الماسونية بإلحاح - من الناحية النظرية ليس إلا - على عدم التورط في السياسة أو الدين، ولكنها بالطبع لم تنج من هذا التورط، لا في المرحلة السابقة التي تحدثنا عنها، وهي مرحلة التأسيس، كما رأينا، ولا في مرحلة الاستقرار هذه التي تمثل تورط الماسونية فيها إلى مناشدة أهل فلسطين التزام الهدوء والسكينة، ومشاركة اليهود في بناء الوطن المشترك، وتتلخص قصة هذه المناشدة في أن حاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية توقع وأنصاره في مطلع سنة ١٩٢٢م، أن يقوم عرب فلسطين - كعادتهم - بأعمال عنف ضد اليهود أثناء احتفالاتهم بمولد نبيهم موسى، فطلب من ممثل المنظمة في القاهرة العمل على توجيه بيان من بعض أهل الثقة في مصر إلى عرب فلسطين، تحثهم على التزام الهدوء أثناء تلك الاحتفالات التي يشهدها

يهود من مختلف بلاد العالم.

وتوصل مندوب المنظمة **عن طريق أحمد زكي باشا مدير دار الكتب** (شيخ العروبة فيما بعد) إلى طريقة لإصدار هذا البيان عن رئاسة الماسونية في مصر، التي يمثلها المحفل الأكبر الوطني المصري مقابل ألف جنيه.

لقد نجحت المحاولة الصهيونية بالفعل، وأصدر المحفل الأكبر البيان المطلوب بتاريخ ١٢ أبريل ١٩٢٢، وهو موعد سابق على موعد احتفالات المولد ووقعه إدريس راغب الأستاذ الأعظم للمحفل، وهيئة مكتبه، وكان بعنوان : " نداء إلى أهالي فلسطين " من " المحفل الأكبر الوطني المصري للبنائين الأحرار القدماء المقبولين ".

وقد كتب بصيغة خطابية، ووجه إلى جميع فئات فلسطين وطوائفها كبارًا، وصغارًا، رجالاً، ونساءً.

ودعا الجميع إلى إفساح المجال لليهود في سبيل فائدة الوطن المشترك وعظمته، وتوفير أسباب السلام والوئام والتسامح وحقن الدماء، في حض عرب فلسطين بالعمل على تحقيق هذه المطالب، وعد كلماته ممثلة لمصر الشقيقة الكبرى، وفيما يلي نص النداء المذكور [١]:

المحفل الأكبر الوطني المصري

للبنائين الأحرار القدماء المقبلين

نداء إلى أهالي فلسطين

باسم الحرية والإخاء والمساواة التي هي الشعار المقدس للماسونية ذات المبادئ الخالدة.

وباسم السلام العام الذي تدعو إليه جميع المذاهب الفلسفية وتأمر به كل الأديان السماوية.

(١) يراجع في هذا أيضًا " الماسونية في مصر " للدكتور/ على شلش.

يتقدم المحفل الأكبر الوطني المصري.

إلى أئمة الدين الحنيف، وحفظة الشرع الكريم الذين يستمع إليهم عرب فلسطين.

إلى رؤساء جميع الأديان الأخرى، سواء كانت مسيحية أو موسوية أو غيرها، على اختلاف النحل والمذاهب إلى أهل العقول الراجحة، والبصيرة المنيرة، الذين يصدعون بالحق، وفي الحق لا يخشون لومة لائم.

إلى أرباب الأقلام والصحف، الذين يقتدى بهم الخاصة، ويهتدي بهم العامة.

إلى أكابر المسلمين وأعيانهم الذين يغارون على مجد أسلافهم الكرام، أولئك الأسلاف الذين سبقوا الناس كافة، فشرعوا للإنسان حرية الفكر، وحرية القول، وجدية العمل.

إلى أصحاب المناصب، وذوي الحل والعقد المسؤولين أمام خالتهم، وأمام ذمتهم عن حفظ السلام، وإقامة القسطاس بين جميع المتوطنين في فلسطين.

إلى التجار الذين تتنافر مصالحهم مع العنف والعدوان وسفك الدماء وتخريب العمران.

إلى العمال والصناع الذين يستفيدون ويفيدون من ازدياد أسباب الثورة، وتوافر عوامل الرخاء في فلسطين.

إلى أصحاب المزارع والضياع، وأرباب المسقفات والمباني الذين سيكون نماء العمار في بلادهم سببًا لتدفق الثروة عليهم.

إلى المزارعين والأكارين، الذين سينالون أكبر المنافع باستخدام الأساليب الحديثة التي لا تلبث أن تتوافد عليهم فتعمهم الرفاهية وتتحسن أحوالهم المادية والأدبية.

إلى الشباب الناهض الذي سيجني أكبر الثمرات مما سيقام في فلسطن من معاهد العلم، مثل ما جناه أبناء سورية مما أسسه الدينيون في بيروت

وغيرها، فأما المعاهد التي ستقام في فلسطين فلا تكون إلا علمية محضة وطنية بحتة، فيكون من شأنها إحياء الشرق وتجديد فخاره الماضي، وإعادة مجده القديم، وإرجاع أهله إلى مكانتهم السامية.

إلى المشاغبين، أولئك الذين لا تؤدي إعمالهم إلى شيء آخر سوى الضرر بمصالح العرب الحقة، وإلى أولئك الذين يسرقون من خلف الستار بني قومهم الساذجين إلى العبث بذمة العرب الكرام وإلى ارتكاب الإثم والعدوان.

إلى أولئك الذين يتوافدون من كل فج عميق لزيادة قبر الكليم " النبي موسى عليه السلام " في يوم موسمه القادم الذي هو رمز المحبة والسلام.

إلى أولئك الذين لا يغريهم الدساسون الخادعون على اقتراف المحارم، وسفك الدماء، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، ثم إلى الأمة الفلسطينية كلها، كبيرها وصغيرها، رجالها ونسائها بلا تمييز بين الأجناس والأديان.

فيقول للجميع بلسان الماسونية المصرية وبلسان الإنسانية:

اذكروا - نفعكم الله - أن الفرنساويين والإنجليز في بلاد كندا يتألف من عنصريهما المختلفين، جنسًا وسلالة، أمة واحدة يعيش أفرادها جنبًا إلى جنب بسلام وأمان.

اذكروا أن الألمان والفرنساويين والطليان تتألف منهم " في بلاد سويسرا " أمة واحدة متجانسة على اختلافها في اللغات والأديان، وأن تكاتفهم واتحادهم وإجماع كلمتهم منبع قوتهم ومصدر ثروتهم، وأن في تماسكهم وتضامنهم حياتهم الشريفة وحريتهم الغالية.

يا أهل فلسطين:

تذكروا أن اليهود هم إخوتكم، وأبناء عمومتكم، قد ركبوا متن الغربة، فأفلحوا ونجحوا، ثم هم اليوم يطمعون الرجوع إليكم، لفائدة وعظمة

الوطن المشترك العام، بما أحرزوه من مال وما اكتسبوه خبرة وعرفان.

إن العربي والعبري صنوان من شجرة إبراهيم عليه السلام، أبواهما إسحاق وإسماعيل، فمتى وضع أحدهما يده في يد الآخر انتفعا جميعًا بما لديهما من الوسائل المختلفة، وكان في تعاونهما تمام الخير، وكمال البركة بإذن الله.

اسمعوا وعوا هذا الصوت الذي تناشدكم به مصر، شقيقتكم الكبرى.

إنها تدعوكم إلى السلام والوئام لمصلحتكم، ولمصلحة الشرق وهي فوق كل مصلحة.

اسمعوا هذا الصوت الذي يدعوكم إلى الحكمة، وسبيل الرشاد هذا الصوت المنبعث عن أرض تفاخر وتباهي بصلاح الدين، ذلك الملك الجليل الذي أعجب به العالم طرا بما كان له من تسامح لا يزال كوكبه الوضاء يتلألأ في جبين الشرق والإسلام، فقد كان بتسامحه مع اليهود والنصارى وأشرف الملوك وأجلهم قدرًا. وما ذلك إلا لأنه تشبع بروح الإسلام الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فاستمد رجحانه على كل معاصريه من تلك القوة التي أرسلت أنوار الحضارة على العالم بأجمعه، تلك هي قوة العرب.

حافظوا على شرف العرب القديم، وعلى مجدهم الصميم، ولا تندفعوا وراء الأيدي الخفية في تيار الظلم والعداون، وإياكم إياكم أن تسفكوا الدم الذي حرم الله.

هذا ما رآه المحفل الأكبر الوطني المصري، ويقينه أن أهل فلسطين يستمعون لهذا النداء، وأخصهم العرب، فإنهم هم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

لقد أدى المحفل الوطني المصري الأمانة، وقام بالواجب عليه نحو التضامن الإنساني، ورجاؤه أن يكون هذا النداء أحسن صدى، فيهب أصحاب الكلمة المسموعة من إخواننا اليهود، وإخواننا النصارى،

وإخواننـا المسـلمين المتـوطنين فـي فلسـطين لـدعوة أبنـائهم وقـرابتهم، والمؤتمين بهم إلـى الامتنـاع عن المحـارم والآثـام، وإلـى اجتنـاب أسباب الشقاق والانقسام في تلك الأرض المقدسة، أرض فلسطين، حتى يسود بين عناصرها الاتحاد والوئام، ويخيم على ربوعها السلام.

الأستاذ الأعظم	كاتب السر الأعظم
إدريس راغب	عبد المجيد يونس
نائب الأستاذ الأعظم	مساعد نائب الأستاذ الأعظم
محمد رفاعة	طه إبراهيم

عن القاهرة في ٢ أبريل سنة ١٩٢٢

يبدو أن هذا النداء وصل أهل فلسطين عن طريق المنشورات لا الصحف، ثم ما لبثت الصحف في مصر أن أشارت إلى وصوله إلى أيدي الفلسطينيين، ولقد قوبل هذا النداء بكثير من الامتعاض الممزوج بالدهشة من معظم الكتاب والمثقفين الوطنيين في مصر، غير المنضمين للماسونية، ومن قليل أيضًا من المنضمين لها - فعلى سبيل المثال:

نشرت جريدة " النظام " النص الكامل للنداء تحت عنوان " العشيرة الماسونية والمحفل الأكبر الوطني المصري " ومع أن الجريدة كانت من الصحف المهتمة بالماسونية، وكان صاحبها ومحررها سيد علي الحريري ماسونيًا، فقد وقعت الموضوع بتوقيع " ماسوني متألم "، وأغلب الظن أنه هو نفسه صاحبها ومحررها. وقد استهل الموضوع بقوله: " الجميعة الماسونية جمعية خيرية تقوم على مبدأ مساعدة الضعفاء والمساكين، والدفاع عن الحرية، والانتصاف للمظلوم، ولم نكن نعرف أنها جمعية سياسية تتداخل في أمور الشعوب، وتتصرف في شؤونها، وتدعوها للاستسلام لمغتصبي حقوقها إلا اليوم، عندما قرأنا الرسالة التي نشرتها زميلتنا " الأهرام " الغراء من يافا، وهي تتضمن الرد على المنشور الذي أرسله المحفل الأكبر الوطني المصري إلى أهالي فلسطين

يدعوهم إلى الاستسلام للصهيونية، وتركها تعمل ما تشاء في بلادهم، ويطلب ألاّ يتعرضوا لها في أغراضها القومية، ثم أبدى المحرر دهشته من تدخل المحفل على هذا النحو، وكيف كان يتظاهر بأنه يأبى أن يبدي رأيه في المسألة المصرية. مدعيًا أن الجمعية الماسونية جمعية خيرية لا دخل لها في السياسة، وكانت دهشتنا أكبر لأن تلك الدعوة التي أرسلها المحفل الأكبر إلى إخواننا أهالي فلسطين كانت مرسلة باسم الأمة المصرية التي تطالب بحريتها " وأبدى لومه الشديد لما حدث من المحفل، ثم تلاه بنص المنشور كاملاً، وعقب عملية بما رد به أهالي فلسطين من الاحتجاج والاستنكار، واختتم التعليق بعبارة " فهل لا يرى المحفل الأكبر المصري في هذا الكلام ما يخجل؟ كفى ".

ولا ريب في أن محرر النظام - في رأينا - لم يكن يعلم قصة الضغط الصهيوني من أجل الحصول على هذا النداء، لأن هذه القصة كشفتها أوراق وايزمان، ورسائله التي جمعت ونشرت سنة ١٩٧٧، ولكن يتبين من تقديمه للموضوع أنه كان على علم بجانبها المتعلق بممثل المنظمة الصهيونية في القاهرة، وجهوده في هذا السبيل.

وليس بغريب أن يدعي بعض الماسون آنذاك من أن النداء لم يكن فيه بعودة صريحة القبول الوطن القومي اليهودي في فلسطين، وليس فيه اعتراف بحق اليهود فيه، **وإنما كان فيه إلحاح على فكرة " الوطن المشترك "، وهي ذاتها الفكرة التي روجتها الصهيونية في مصر وقتها، حتى تجد عن طريقها منفذًا إلى البقاء والنشاط داخل القاهرة والإسكندرية.**

لقد كان النداء وقحًا في جرأته رغم استخدامه لكلمات معسولة خداعة، وكان توقيته خبيثًا أيضًا، فقد استقر آنذاك الإنجليز على وعدهم الذي أعلنه وزير خارجيتهم آرثر بالفوز سنة ١٩١٧م، وبدأت الصحف الوطنية في مصر في إثارة القضية. ولم ينتظر الماسون حتى ينجلي الأمر، فظهروا بمظهر الملكيين أكثر من الملك، وإذا كانت مواقف

كبيرهم إدريس راغب السابقة من الإنجليز كفيلة بإصدار نداء كهذا، إلا أنه كان من الطبيعي أن يثير النداء أزمة خطيرة، ومعركة في الصحف المصرية والفلسطينية على السواء.

لقد جاء النداء - بلا جدال - متعاطفًا ومعبرًا عن الانتماء اليهودي والصهيوني على السواء، رغم عزفه على نغمة الوطن المشترك. ولا جدال أنه أدى إلى ورطة كبيرة للماسون من المصريين الذين دخلوا الماسونية مخدوعين بشعاراتها الزائفة (الحرية، الإخاء، المساواة) ولولا دعم الإنجليز لها، وانشغال الحركة الوطنية عنها بقضية الاستقلال لواجهت هجومًا من خارج صفوفها أضعاف ما واجهته - ومع ذلك أيضًا واجهت هجومًا من الداخل ممن كانوا مخدوعين بشعاراتها - كما ذكرنا -.

ج- الانقسام:

لقد أدى هذا التورط السافر من جانب المحفل الأكبر ورئاسته كما ذكرنا إلى لغط كبير، ومن سوء حظ رئاسة المحفل الأكبر أن تورطها جاء في وقت اشتد فيه مشاعر الغليان الوطني ضد الإنجليز في أعقاب نفي سعد زغلول ورفاقه، مع استعداد إدريس راغب للدخول في انتخابات المحفل السنوية التي اعتاد الفوز فيها منذ تنصيبه أستاذًا أعظم منذ سنة ١٨٩١م.

ويبدو أن بعض العناصر الماسونية بدأت في التحرك في الخفاء، وأحدثت عملية تمرد خلال الأشهر القليلة التالية. وفي هذا المناخ بدأ اسم الأمير محمد علي، ولي العهد، في اللمعان كبديل لراغب، وفي ٢٨ سبتمبر ١٩٢٢ عقد المحفل الأكبر في مقره بشارع نوبار بالقاهرة جلسة لإجراء الانتخابات، ولكن الجلسة امتلأت بالأجانب، أي غير المنتمين للماسونية - وكان أغلبهم من المصريين - وحدث هرج ومرج، خرج على أثره إدريس راغب غاضبًا ومؤجلاً للانتخابات. ولكن المتمردين استمروا في التداول بعد انصرافه، ثم أجروا انتخابات فاز فيها الأمير محمد علي بمنصب الأستاذ الأعظم.

ولم يقف إدريس راغب مكتوف اليدين إزاء ما حدث، فقد أسرع في الثالث من أكتوبر بعقد جلسة أخرى في مقر المحفل، وأعلن فيها عدم اعترافه بمشروعية الانتخابات التي جرت في غيابه. وتحدث عما حدث في الجلسة السابقة من فوضى مدبرة شارك فيها بعض الأجانب [1] مما اضطر إلى تأجيل عملية الانتخاب. ثم قام بإجراء الانتخاب، **فكانت نتيجته فوزه بمنصب الأستاذ الأعظم بالطبع وفوز أنصاره اليهود بمناصب رئيسية، مثل سلمون جولد شتين الذي أختير " أمين خزينة أعظم " أي أمين الصندوق، وألبرت بزيات " مرشد أول أعظم "، كما أجرى جرد لصندوق الخيرات بالمحفل ظهر منه أن الصندوق لا يحتوي إلا على جنيه واحد ثمانمائة وستين مليمًا. وطالب راغب بوقف كثيرين من الإخوان ومحاكمتهم على ما اقترفوه في حق المحفل ورئاسته**، وكان هؤلاء هم أبطال حركة التمرد التي نصبت ولي العهد. وأضاف راغب أن الاجتماع السابق غير مشروع، وأن محمد علي نفسه لا حق له في الترشيح أو الفوز، لأنه لم يكن عضوًا عاملاً بالمحفل، ولم يسبق انتخابه رئيسًا لأي محفل، ولا في منصب عال بالمحفل الأكبر ذاته.

ولم يكتف راغب بهذه الإجراءات، بل أصدر أوامره بوقف بعض أعضاء المحفل الأكبر، وكذلك بعض المحافل التابعة له.. وأنذر محمد علي ببرقية في ٩ أكتوبر وخطاب في اليوم التالي. ثم أصدر أمرًا بإيقافه عن الأعمال الماسونية تمهيدًا لمحاكمته، ثم أصدر منشورًا لعموم المحافل الماسونية حول الموضوع، وأخطر المحافل الأجنبية بما حدث أرجع راغب السبب في هذا التمرد إلى أنه أوقف بعض الإخوان لارتكابهم مخالفات ماسونية، وأعلن عن تقديمهم للمحاكمة خلال أشهر الصيف، ولكنهم تآمروا عليه، وأوعزوا إلى الأمير محمد علي بالتقدم والترشيح لمنصب الأستاذ الأعظم، ثم تجمهروا داخل مقر المحفل جالبين معهم

(١) غير الماسون والمقصود بهذا أيضًا المصريون غير المنتمين للماسونية.

عددًا من " الأجانب " وأرغموه (راغب) على سحب أوامر إيقافهم.

ومـن الواضـح أن قـادة التمـرد كـانوا هـم أنفسـهم الأعضـاء اليهـود صامويل ليفي، شنطوب ليفي، إيلي حتويل، ماركو كوهين، موريس دانـا، إيزاك كروب، شالومة لزرع، ويبدو أن الخلاف بينهم وبينه كان بسبب " البيان " الذي حاول فيه تخفيف وقع ندائه السابق إلى أهالي فلسطين.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، فقد تطورت الأمور بعد ذلك بطريقة درامية، إذ رفع راغب دعوى مستعجلة ضد المتمردين، وصدر حكم فيها في ٢٨ أكتوبر يقضي بتعيينه حارسًا قضائيًا على المحفل لحين الفصل في النزاع، ولكن محمد على وأنصاره عدوا الحكم باطلاً في شكله ومضمونه، وقـام عـدد مـنهم بالاسـتيلاء علـى أوراق المحفـل، ومـن بينهـا نصـوص المعاهدات التي عقدها راغب مع الشروق الأجنبية، وفي الوقت ذاته تحالف الموقعون على نداء المحفل وبيانه السابقين ضد راغب، وانضموا إلى محمد علي، وبدأت سلسلة من التحريض بين الفريقين، وأصبح المحفل الأكبر ذا هيئتين، واحدة برئاسة محمد على، والأخرى برئاسة إدريس راغب. وتجمع أنصار الأول فأصدروا مجلة " الميثاق " في ١٥ مايو ١٩٢٤ بعد أن توقفت " المجلة الماسونية " التي أصدرها راغب.

لقد حدث الانقسام على أي حال، وبدأ أنصار محمد علي يتحدثون عـن خصـومهم مسـتخدمين تعبيـر " فريـق الخـوارج " كمـا سـماهم عبـد المجيد يـونس كاتـب السـر الأعظـم (الأمـين العـام) للمحفـل الـذي شـغل منصبه في العهدين.

وبـدأ أنصـار إدريـس فـي الكيـد لخصـومهم، ومـن ذلـك أنهـم أبلغـوا السلطات أن المحفل الذي يرأسه محمد علي يعقد اجتماعات سياسية، وأنـه أقام حفلاً في ١٠ ديسمبر ١٩٢٣ ألقيت فيه كلمات وخطب معادية للملك، وعلى مدى عام بعد ذلك ظل التراشق والكيد بين الفريقين قائمين، وحاول أنصار محمد علي وضع حد لهذا، فأصدروا المنشورات والبيانات طالبين

من الكتاب من أبناء العشيرة عدم الخوض في الخلافات القائمة بين الفريقين. ومع ذلك انتهت الأزمة باستقرار رئاسة المحل للأمير محمد علي، وخروج إدريس راغب ملومًا محسورًا.

يقول حنا أبو راشد - أحد الماسونيين الشوام الذين عاصروا تلك المرحلة، ونشطوا خلالها - مصورًا لما حدث [1]:

" في عام ١٩٢٢ أسر الوشاة في أذن عبد المجيد يونس السكرتير الأعظم، حتى إذا تمكن استولى على عرش مصر بحراب الإنجليز، فطلب الملك فؤاد من إدريس راغب أن يرشح نفسه، يناصره محمد رفعت بك.

ولم يحن تاريخ الانتخاب حتى حشد الفريقان مئات من الموظفين والأعيان في صفوف الناخبين، وهم لا يفقهون من الماسونية إلا اسمها. وهذا الجهل دفعهم إلى حرم الهيكل وخزائن السكرتارية، ونثروا أوراقها بعد إحراقها.. وبين صفوف الثائرين صعد محمد علي على عرش الأستاذية ".

ويستطرد أبو راشد قائلاً:

" وبعد انشقاق المحفل الأكبر المصري على نفسه بصورة مستهجنة، خرج جماعة من زعماء الماسونية، ومنهم الأخوان حسن نشأت باشا، والسيد علي باشا، ومحمد رفاعة بك، ومحمد رفعت بك، وأحيوا الشرق الأعظم المصري، برئاسة الأستاذ الأعظم إدريس راغب بك، واتخذوا له مكانًا في عمارة مانوزاردي، وضموا إليه جملة محافل، ثم نودي بالأخ محمد رفاعة بك أستاذًا أعظم، ومحمد رفعت السكرتير الأعظم. وذلك بعد وفاة إدريس بك راغب، الذي ضحى بماله وفكره في سبيل المحفل والشرق الأكبر ".

ويستطرد مرة أخرى:

" لم ينحصر هذا الانشقاق بداخلية المحفل الأكبر، بل تعداه إلى أنحاء الشرق الأوسط، حيث إن جميع المحافل كانت تشتغل

(١) يراجع في ذلك أيضًا " الماسونية في مصر " للدكتور/ على شلش.

تحت رعاية المحفل الأكبر المصري، فمنها من تبع الشرق الأكبر الذي يرأسه إدريس راغب، ومنها من تبع المحفل الأكبر الذي يرأسه البرنس محمد علي ".

ولما تفاقم الانشقاق تألفت لجنة عام ١٩٣٤ - كما يقول أبو راشد - بهدف إصلاح المحافل ورأب الصدع فيها، وتكونت اللجنة من خمس ماسون هم: **أبو راشد (رئيس محفل أمير الصعيد) ومحمد فاضل باشا، وفريد قسيس (رئيس محفل عمانوئيل) ومصطفى حلمي عزب، وعبد السلام فهمي بك**، وقد نجحت هذه اللجنة في مهمتها كما يقول صاحب الرواية، ولما شغر **منصب الأستاذية العظمى بوفاة محمد رفاعة عرض المنصب على أحمد ماهر باشا، فقبله، وانتخب أستاذًا أعظم.**

وظل يشغل هذا المنصب حتى مصرعه عام ١٩٤٥، وفي عام ١٩٥٠ تولى فؤاد سراج الدين باشا الأستاذية العظمى حتى قيام الثورة.

غير أن هذه المرحلة كلها (مرحلة الاستقرار) انتهت مع قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨، وكانت الماسونية - كما رأينا - قد فقدت الكثير من احترامها، حتى عند بعض أنصارها، وكان التطورات السلبية أثر في فقدان هذا الاحترام، ولم يقف تورطها في السياسة بعد أزمتها الخطيرة عام ١٩٢٢ - **بل تفاقمت وظلت توغل التدخل في قضية فلسطين ولاسيما في الفترة من ١٩٢٩ - ١٩٤٠ التي شهدت ثورات الجهاد الفلسطيني - وكان من أبرز مظاهر التدخل نشر المقالات وإذاعة المنشورات بغرض دعم موقف اليهود، وإرسال الوفود إلى فلسطين للسعي من أجل إقناع الفلسطينيين بالموافقة على مشاركتهم لليهود في الموطن الفلسطيني - بالإضافة إلى الدعم المالي لليهود ووكالاتهم - وبسبب هذا كله وقعت السلطات الماسونية في مصر في صراع دائم مع اللجنة الفلسطينية العربية ورئيسها محمد علي الطاهر، إذ لم يتوان الرجل عن فضح الماسونية ومآربها وأهدافها الصهيونية الخبيثة -.**

* * *